

بحار الأنوار

[281] الصلوة تغير لونه، فسئل عن ذلك فقال: حضر وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها. ومما يدل على كون المراد بها الأمانة المعروفة ما في نهج البلاغة في جملة وصاياه للمسلمين: ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عرضت على السماوات المبنية، والأرض المدحوة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعظم منها، ولو امتنع شئ منها بطول أو عرض أو قوة أو عزز لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا. وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول: ابتع لي ثوبا، فيطلب في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق، فيعطيه من عنده، قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه، إن الله عز وجل يقول: "إنا عرضنا الأمانة - الآية -"، والحق أن الجميع داخل في الآية بحسب بطونها، كما قيل: إن المراد بالأمانة التكليف بالعبودية لله على وجهها والتقرب بها إلى الله سبحانه كما ينبغي لكل عبد بحسب استعدادها لها، وأعظمها الخلافة الإلهية لأهلها، ثم تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها، وعدم ادعاء منزلتها لنفسه، ثم سائر التكاليف، والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال النظر إلى استعدادهن لذلك، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة، وتحمل الإنسان إياها تحمله لها من غير استحقاق تكبرا على أهلها، أو مع تفصيله بحسب وصف الجنس باعتبار الأغلب، فهذه معانيها الكلية وكل ما ورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبر والتوفيق من الله سبحانه. قال السيد المرتضى - رضي الله عنه - في أجوبة المسائل العكبرية حيث سئل عن تفسير هذه الآية: إنه لم يكن عرض في الحقيقة على السماوات والأرض والجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول، وإنما الكلام في هذه الآية مجاز يريد به الإيضاح عن عظم الأمانة وثقل التكليف بها وشدته على الإنسان، وإن السماوات والأرض والجبال لو كانت مما يقبل لابت حمل الأمانة ولم تؤد مع ذلك حقها، و